67
2021

نفسانت الكتاب العربي
اصدارات مكتبية في علوم الطب و النفس

نحو مدرسة عربية في علوم النفس

سلسلة إصدارات مكتبية محكمة

الإصدار السابع والستون

عدد 67-2021

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

العدد 67
العدد الخاص
الفلسفة المحضة
و
الفلسفة النفسية والطبيعية
فقرات عقلية وتاريخية في الشخصية والمجتمع وفي الفعل والقيمة
الجزء الثاني
الدكتور علي زيعور

الفهـــــــــــرس

المقتَطَفات	5
تقديم	6
إبانة	14
المعايَنة الأولى: محاضر جلسات في صياغة سِينْجِيمِيّة	
الجلسة الأولى: إشكاليات نزعِ النّفسَنة	
الجلسة الثانية: أجهزة ونَسقِ الإنتاجِ والمحاكمة	
الجلسة الثالثة: الجَمْعَنة والخَلْقنة	
الجلسة الرابعة: القَطْعَوَصْلية إنزياحُ أنساقٍ	
أضمومة: حوار حول الفلسفة والمدرسة العربيّة الراهنة في الفلسفة	
المعاينة الثانية: محاضر جلساتٍ في صياغةٍ شذَريةٍ فِقارية	
الجلسة الأولى: مقابسة أخرى حول المدرسة الفلسفية – النفسية الراهنة	
الجلسة الثانية: معاينةُ التمايزِ والتضافر والتظافر	
الجلسة الثالثة: تفاعليةُ العوامل مع الشوامل	
الجلسة الرابعة: التعريف والرّدُّ على التعريف (تجراراً)	
المعاينة الثالثة: الجَروحيةُ والتوكيدية في بنية العقلي النفسيّ السلوكي	
الجلسة الأولى: النّزفُ واللّأْمُ	
الجلسة الثانية: التحوّلُ والانتقال أو المتروكيةُ والتغيير	

الجلسة الثالثة: الأريكة العربية داخل دار التحليل النفسي	
الجلسة الرابعة: الوأد المعاصر	
المعاينة الرابعة: فلسفة التحوّلاتِ الحضارية في الشخصية والحقلِ والتفكير	465
الجلسة الأولى: الرؤية المعذَّبة	466
الجلسة الثانية: الفلسفة الجوّانية	514
الجلسة الثالثة: الموضوعات الأطروحيةُ عقلٌ وحريةٌ وارتياحٌ نفسيّ حضاريّ	560
الجلسة الرابعة: علم النفس فلسفة للأنا والأنتَ ضمن التحناوية	616
أُضْمومات أو جلساتٌ إتْمامية	676
الأضمومة الأولى: قوانين وطرائق وأواليات	677
الأضمومة الثانية: المدَني والعِلماني والمسكوني – قطافٌ مُبهَض ثم مستعادٌ	746
المستصفى: مَعْجَمة ورائزٌ ومنخول	807

المُقتَصَرات(*)

أدناه	=	ما سيلي.
أعلاه	=	ما سَبَق، الفصل (السطر، أو القسم) السابق.
إلخ	=	إلى آخره.
ت	=	ترجمة (نَقْل).
ت.ع	=	ترجمة عربية.
ت.ف	=	ترجمة فرنسية.
ج	=	جزء.
د.ت	=	دون [بلا] تاريخ.
را	=	راجع؛ انظُر.
س	=	سطر.
ص	=	صفحة.
ص ص	=	من صفحة كذا حتى صفحة كذا.
صص	=	صفحة كذا ثم صفحة كذا.
ط	=	طبعة.
قا	=	قارن؛ للمُقارنة= قابِلْ، للمقابلة.
ك.ع	=	الكِتاب [المؤلَّف] عينه.
مج	=	مجلّد.
م.ع	=	المرجع [المصدَر، الكتاب، المؤلَّف] عينه.
م.ع.ص	=	المرجع عينه والصفحة عينها.

(*)الكلمة الموضوعة بين مزدوجَين تُشير إلى إسم كتاب؛ أو تكون كلمةً غير دقيقة، مترجرِجة، قلِقةً، غير تاريخية، شبه موفَّقة...

تقديـــــــــم

يقدَّم هذا الكتاب بمثابة شكلٍ آخر من الأشكال لنظريةِ المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة، ببعدَيْها النفسي والمحض؛ أو بواقعَيْها العمليّ والنظريّ، البيولوجي والثقافي...

1- يقدَّم هذا الكتاب بمثابة شكلٍ آخر من الأشكال لنظريةِ المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة، ببعدَيْها النفسي والمحض؛ أو بواقعَيْها العمليّ والنظريّ، البيولوجي والثقافي... كما انّ تلك المدرسة عينها هي، بعدُ أيضاً، قولٌ في الفكر، في العالمينية؛ وهي تأتي كتتويج، وفي المحرّكات المطلِقة المعتِقة لمشروع إعادة الإدراك والأشكلة للعلوم المجتمعية (= الإنسانيات) داخل الذات العربية التي هي مستقبليةُ النّسغِ والمنهجيةِ والرّجاءات؛ وليست أيْسةً أو كَيْنة؛ ولا هي مفهوم مجرّد، محض، جوهراني أو خالدٌ وأبدي.

2- تتصنّف قطاعاتُ الفلسفة إلى حقولٍ خصبةٍ متغاذية؛ هي: الأيسيّات (= الإنّيات، الوجوديات)، المعرفيات والقيميات. وطباقياً، فإنّ الفلسفة بحثٌ متعمّقٌ توسُّعيّ، وتنظير هو تعقّبيّ وتنقيبيّ في رزائل (رزيحات، مداميك، طوابق) أو طِباقاتِ الفرداني والجماعاني، المحايث والمتعالي، المحسوس العياني والمجرَّد، الدّهريّ والمقدّس... وذلك البحث المحضاني هنا، والكسبيُّ كما المصلحيُّ المنهجِ والرؤيةِ هناك، بحثٌ أدواته ذاتية النزعةِ (ذاتانية) وموضوعانيةٌ أي موضوعيةُ النزعة في التحليل والقراءة والمحاكَمة، وفي التفسير والفهم والتأويل.

3- العائد إلى الضلع النفسي للفلسفة، للعقل، للإنسان، قطاعٌ يتغاذى ويتناضد مع حقول المدرسة العربية في علم النفس؛ وفي الإختصاصات

انّ تلك المدرسة عينها هي، بعدُ أيضاً، قولٌ في الفكر، في العالمينية؛ وهي تأتي كتتويج، وفي المحرّكات المطلِقة المعتِقة لمشروع إعادة الإدراك والأشكلة للعلوم المجتمعية (= الإنسانيات)

والمهَنِ النفسانية كالعلاجنفس والطّبّنفس؛ وفي التحليلنفس على وجهٍ خاصّ. بعبارةٍ أخصر، موضوعاتُ القطاع النفسي للفلسفة مُمثّلةٌ حاضرةً، في هذا الكتاب، بمقولاتٍ ومفاهيم أو بحقولٍ وحالاتٍ نفسية (= عقلية، سلوكية) كنّا قد بدأنا منذ أواخر الخمسينيات بتحليلها وتفسيرها، وبنشرها الجرائديّ والمجلاتي أو بإلقائها من دار الإذاعة اللبنانية[1].

4- ويغذّي الضّلع النفسيَّ للفلسفة، للفلسفات النفسانية، الإختصاصاتُ النفسية الأخرى؛ ومنها، كعيّنة التحليلنفس بحسب المذهب العربي ومدرسته العربية. فهذه الأخيرة أثْرتْ وطوّرت العمارةَ المعرفية العامة للنفسانيات؛ إذْ هي قد درست وقرأتْ موضوعاتٍ وحالاتٍ من مثل: اللاوعي والكبت، الجنس والطفولة، الرغبة والغريزة، الفنّ والأدب، الدين والحضارة والعلم.

5- في البُعد أو الواقعِ المحض للفلسفة، في الفلسفة المحضة (= المحضانية)، تحضر مفاهيمُ الماورائيات، وفلسفاتُ العلم والطبيعة، والنظريات في المعرفياء (= المعرفيات) وفي اللغة والتحليل والوضعانية، وفي المقولات الأخلاقية وفلسفة الخير (= الخيرانية) والجماليات كما القيميات.

* / *

1- تطوّرت الفلسفة؛ وتعدّدت النظريات والمقولاتُ الفلسفية المعاصرة، داخل الذات العربية؛ أي، في عبارةٍ أدمث، تَنوَّعَ خطابُ المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة والفكر؛ وفي العالمينية ومشاريع إعادة ضبط الحضارة، أو توجيهها وصقلها تبعاً للنّسغ والروحية المَدَنية في داخل الدار العالمية، وللتكييفانية الإيجابية المؤنسِنة كما المؤنسَنة.

2- في فضاء النظريات الفلسفية الراهنة، داخل الفكر العربي الراهن، يدرك فوراً أنّ الحقول، والمفاهيمَ والمقولات، متناضحةٌ متواضحة. وهذا، بقدر ما هي محرّكة موقَّدة بعطاأخذيةٍ وذهابيابية فيما بينها، ثم بينها وبين العلوم

إنّ الفلسفة بحثٌ متعمّقٌ توسُّعيّ، وتنظير هو تعقّبيّ وتنقيبيّ في رزائع (رزيحات، مداميك، طوابق) أو طِباقاتِ الفردانيِ والجماعاني، المحايث والمتعالي، المحسوس العياني والمجرَّد، الدّهريّ والمقدّس...

العائد إلى الضلع النفسي للفلسفة، للعقل، للإنسان، قطاعٌ يتغاذى ويتناضح مع حقول المدرسة العربية في علم النفس؛ وفي الإختصاصات والمهَنِ النفسانية كالعلاجنفس والطّبّنفس؛ وفي التحليلنفس على وجهٍ خاصّ.

الدقيقة الطبيعية المحضة والعلوم النفسية (الإنسانية، الإجتماعية). ولربّما تكون هذه العلائقية الأفقية التضافرية بين ذَينك النمطَيْن من العلوم سبباً وعاملاً في التفسير وترسيخ التغيّر لمنهج المدرسة العربية الراهنة الذي يتميّز بأنّه يودّ ويستطيع أن يكون مختلفاً مستبعِداً للتوفيقانية والتلفيقانية، للطرائق والأساليب التي تَصطفي وتختار، تَحذف وتلمّع، تُسقِط وتنزلق إلى المُفارق واللاتاريخي، الإنتقائي والمتغذّي بأولياتٍ دفاعية وغير عقلانية.

3- النظريات المتساكنة المتناذرةُ في الفلسفة، بحسب مدرستها العربية الراهنة، مرنةٌ وضرامية، متناقحة تقبّلية وإيجابية. إنّها متحاورة فيما بينها وإسهامية؛ وتتبادل الإحترام واعتراف الجميع بحق الجميع في إعادة الضبط والتدقيق المتواظبة المتدائبة لحقوق النفس (النَّسمة البشرية، الكائن البشري، الرو أو العقل...)، للمدنيات المغروسة في حركات الحياة وإرادةِ التعمّق والتوسّع، التناق والتلاق، وفي التبادلية كما في التداولية.

4- تلتقي تلك النظريات المتساكنة على أنها ذات قوامٍ أو نسغ تعدّدي، غير واحدية، لا تفسَّر تبعاً لعاملٍ واحد، حاسمٍ أحسمي...؛ وبذلك فهي تفسيرانية، أي نظريةٌ متماسكة متساوقة في البحث عن العوامل والإمكان والشروط. إنّها، بحكم ذلك وكنتيجة لتلك القراءة المتدامكةِ المستويات، نظريةٌ في الأسبابية، أي حيث نتعقّب المولِّدات والحوافز، الدوافع والمثيرات. نستجلب، هنا، الشروطية أو المبحث في الشروط والإمكانات المستحِثة والضرورية من أجل الفهم بواسطة أخذنا في وحدةِ ما أنتجه السبرُ والتقسيم، التقطيعُ والتجريب.

وإذْ تتحقّق تلك الخطوة التي تحلِّل وتشخِّص، تبعاً لطريقة الطبيب والقاضي، تبدأ الخطوة الثانية التي هي قاعدة التغيير أو قوانينه وإستراتيجيته، أطروحاته وأدواته. وما فلسفة التغيير، الخطابُ أو القول كما النظريةُ الكلّية المتماسكة في

يغذّي الطّلع النفسيّ للفلسفة، للفلسفات النفسانية، الإختصاصاتُ النفسية الأخرى؛ ومنها، كعيّنة التحليلنفس بحسب المذهب العربي ومدرسته العربية.

تَنوّعَ خطابُ المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة والفكر؛ وفي العالمينية ومشاريع إعادة ضبط الحضارة، أو توجيهها وصقلها تبعاً للنّسغ والروحية المَدَنية في داخل الدار العالمية، والتكييفانية الإيجابية المؤنسِنة كما المؤنسَنة.

التغيير، سوى نظريةٍ عقلها أو سمخها ومنطقها نظريةُ التغييرانية. وبذلك فقد يصلُ أن يقال إنّ المدرسة العربية في الفلسفة والنفسانيات التحليلية تسمّى التفسيرانية التغييرانية.

5- النقدانية الحضارية، وهي استيعابية تجاوزية وتَخطّوية، تُعدّ عيّنةً ممثّلة؛ وتكون رمزنةً للنظريات العربية الراهنة في القراءة السَّلبيجابية للشخصية والعلائقية والمجتمع، للفكر والإنجراحات والحضارة... وإذْ أنّ هذه النقدانية في وظيفتها التشخيصية هي الهتك والفضُ للإنغلاب والإلتياث، ولإضطراب الأنا والمجال، وللذات اللاواعية كما الواعية، وللهذا والأنا الأعلى وقيمه؛ فإنّ وظيفتها التغييرية (الإشفائية، العلاجية) تكون فلسفةً ناجحة نافعة، أو مصلحيةً وإستنفاعيةً وإعادة تعلّمٍ في المواضع والقطاعات المتعثّرة التي منها: الخطاب في اللقمة والمدنيات والعدالة الإجتماعية، في المعرفة بالعقل والعلم والتجريب؛ بل وبلا إقصاءٍ أو قتلٍ لما هو لاعقل ولا وعي، عواطفية ومحبّاوية، تعاطف وتكافلٌ وتراحمية، علائقية تضافرية تفاهمية تستوعب الشاقوليَّ والسيطرية، الإستبدادَ والواحدية والعُصابي إنْ في الشخصية أم في الأمم والدول، المجتمعاتِ أو السياسات أو الرئيس المُمرِض المريض والجارِ المنجر.

* / *

1- القراءة المحبّاوية للتراث نظرٌ وتحليل في مقولة الحبّ بتسمياته العديدة، المهدوية والصوفية والعرفانية. إنّها تتعقَّب المواقع والقطاعات التي ينوجد فيها أو تحتويه، والتي يشكّلها ويعيش فيها أو يحييها وتحييه... يلي ذلك التعقّب، أو السَّبر والتشخيص، تنقيبٌ طباقي أي رزيحةً رزيحةً، ومدماكاً فمدماكاً، للتلوينات والفروق داخل موضوعةٍ معقّدةٍ متراكبة لتسمياتٍ وأنواعٍ تندرج تحت كلمة حب؛ أي مثل: الهيام، الغرام، المحبة، العشق، التّتيّم... (را: الخليل،

أنّ الحقول، والمفاهيمَ والمقولات، متناضحةٌ متواضحة. وهذا، بقدر ما هي محرِّكة موقِّدة بعطاأخذيةٍ وذهابيابية فيما بينها، ثم بينها وبين العلوم الدقيقة الطبيعية المحضة والعلوم النفسية (الإنسانية، الإجتماعية).

النظريات المتساكنة المتناذرةُ في الفلسفة، بحسب مدرستها العربية الراهنة، مرنةٌ وضرامية، متناقحة تقبّلية وإيجابية.

نستجلب، هنا، الشروطية أو المبحث في الشروط والإمكانات المستحِثة والضرورية من أجل الفهم بواسطة أخذنا في وحدةِ ما أنتجه السبرُ والتقسيم، التقطيعُ والتجريب.

قد يصلح أن يقال إنّ المدرسة العربية في الفلسفة والنفسانيات التحليلية تسمّى التفسيرانية التغييرانية.

النقدانية الحضارية، وهي استيعابية تجاوزية وتَخطّوية، تُعدّ عيّنةً ممثّلة؛ وتكون رمزنةً للنظريات العربية الراهنة في القراءة السَّلبيجابية للشخصية والعلائقية والمجتمع، للفكر والإنجراحات والحضارة...

القراءة المحبّاوية للتراث نظرٌ وتحليل في مقولة الحبّ بتسمياته العديدة، المعدوية والصوفية والعرفانية

المولَه، المدلَّه...). هذه القراءة المحبّاوية عاملٌ مساعد داخل استراتيجيا الإنتقال أو التحوّل إلى قراءةٍ عصرانية، حداثانية. فالرّاهناوية تركّز على المحبّاوي والتعاطفي، التكافلي والتراحمي للسيرة النبوية، والسّنّة أو الحديث، وللتكاليف والإحتفالات كما السلوكات التعبّدية.

2- نقول الأمر عينه في صدد القراءات الأخرى التي أجرتها المدرسة العربية في إدراك وتعضية علوم العقل أو الذات، السلوكِ أو الإنسان، النفسِ أو الرو□، الفكر التراثي كما المشروعِ الفكري الراهن... من تلك القراءات، يُذكَر: الجنسانية، الوجودانية، الشخصانية، التاريخانية، المادّية النزعة، النفعانية والمصلحانية، فلسفة الفعل، فلسفة الخطاب أو القولِ الفلسفي، الذرائعية[2]؛ ويُعطف على ذلك: اللاعقل، المدَني وغير اللاهوتي، المهدَوي، الآخر...

* / *

1- أسلوب الكتابة الفقارية ليس جديداً في التعبير عن الفلسفي؛ وعن الفكري، وبخاصةٍ الصوفي والمَهدَوي، والآدابي المواعظي أو " علم اليَنْبغيات"... ربّما يكون من مساوئه ومثالبه أنّه يفرض على نفسه تكرار نفسه ابتغاء إعادةِ التدقيق، مراراً وقسرياً أحياناً جمّة، في " سلعته"، منتوجِه أو ما صَنَعت يداه.

2- ليس " أمراً إدّاً " أن نعود مراتٍ، وليس مرةً واحدةً أو إثنَتَين، إلى صقل فكرةٍ أو موضوعة، مقولةٍ أو أفهومة، جملةٍ أو مصطلا□ أو عنوان. فتلك العودة قانون. وقانون العودة تفسير لأنّ ما كُتِب مرةً لا يمكن لنا أن نرضى به مستسلمين راضين. فالعودة المكرَّرة تغطيةٌ لإنجرا□ أو نقص، لتوهّم أو ظن. نعود إلى ما مضى فعله أو سبكه وإرتكابه قسرياً، وبغير إرادة؛ وبغير وعي أحياناً وفيرة. نعود كي نخفّض التوتر المتولّد أو المحفِّ؛ والمستمرَّ إقلاقاً لنا، أو محرّكاً ومثيراً، بل وقاتلاً للإستقرار النفسي الإطمئناني.

3- نُصرّ على أنّه لتلك العودة مجلوبات؛ أي منافع وسداد، ومن ثم ربحيةٌ وسيطرة. ينفع ولا بدّيٌ هو إعادة الادراكِ أو النظرِ في مشكلة قديمة، في فقرة فكرٍ أو في فعل، وفي بذور فكرٍ أو شتولِ حقلٍ ذهني... التكرار المُوَعْيَن، بعدُ أيضاً، معلِّم؛ ومشذِّب وأداةُ صقلٍ (= صاقول، مِصقال).

4- يستبق التحليلُ الذاتي مطاعنَ تُضخّمها عينٌ قد تنظر بحَوَلٍ متعمَّدٍ أو قسري، بإزورارٍ أو بشَرّاويةٍ؛ ومطاعن أخرى قد لا تراها عينٌ حسيرة. فقراءة الذات لتجربتها الذاتية عملٌ شاقّ، ولا يستطيع أن يكون محيطاً مستنفِداً؛ إذْ هو لا يلتقط المتضمَّن واللاواعي، الظّلي والمعتِم، الغوريَّ والهاجع، المتخفّي والمنسيّ المكبوت.

المراد هو أنّنا، بتبسيطٍ يسهّل ولا يعقِّد، نستطيع ونريد أن نعلن أننا لم نبغِ إرادةَ قومَنة، أو نوايا تعصّبٍ وتشدّدٍ... يضاف أنّنا لا نبدي رغبةً بقتل الأب أي التراثِ، والقيم أي الأنا الأعلى؛ وحتى الرابوع أو الخاموس الأوروبي، ووليّ أمره الأميركي التمدّديّ، نعتبره ظاهرةً إستبدادية مرَضية؛ أي هو حالة. وهو إدراك لشكلٍ ما أو كلّ ملتبس، ثنائيّ القيمة في تعامليته وعلائقيته، وفي يَنْبَغياته (عن الشكل المزدوج أو الملتبِس، را: مذاهب علم النفس، فصل الادراك الكُلّاني).

* / *

1- تؤكّد الجلسة الأولى، من المعاينة الأولى، اعتبارَ المقصود والمنهج موظَّفَيْن كيما يعملان من أجل أن تكون التحليلات والمقارنات للفكر واللغة، وللفلسفة والعقل، مبوَّبةً معروضة (مقدَّمة، مصاغةً) ليس على شكل نسق. المراد هو أنّ المفاهيم ليست مُمرتَبةً شاقولياً. فهي لا تبني صياغاتٍ تكون الأعرض والأكبر، ولا تقارَب كما تقارَب عمارةٌ كبيرة متينة. وهذا، لأنّ صياغة المداميك والقطاعات تفرّق وتُشتِّت؛ وهي نفسها لا تُصَبّ في قالبٍ شمّال وراكن؛ ولا تُصَبّ في قالبٍ مجمَّل زاهٍ أو منمَّق.

هذه القراءة المحبّاوية عاملٌ مساعد داخل استراتيجيا الإنتقال أو التحوّل إلى قراءةٍ عصرانية، حداثانية.

لرّاهناوية تركّز على المحبّاوي والتعاطفي، التكافلي والتراحمي للسيرة النبوية، والسّنّة أو الحديث، وللتكاليف والإحتفالات كما السلوكات التعبّدية.

وقانون العودة تفسير لأنّ ما كُتِب مرةً لا يمكن لنا أن نرضى به مستسلمين راضين. فالعودة المكرَّرة تغطيةٌ لإنجراح أو نقص، لتوهّم أو ظن.

2- المدرسة العربية في علم النفس، ضمن مدارس علم النفس، تَدرس حقولَ علم النفس؛ ومكانته، كما موقعه ودوره في دراسة الإنسان كسلوكٍ أو كحالاتٍ عقلية؛ كمتفاعلةٍ متكافئةٍ من الأبعاد البيولوجية التي تتنفْسَن (تغدو نفسيةً، ذاتيةً أو فِيّاوية)؛ وتَتَجمعن بفعل وتأثير المجتمع والثقافة؛ وتنفتق بعد ذلك، وإذْ تَتَروحَن، على المثالي ومفاهيم مجرَّدة وحيث المحضانية والنظرانية أي النظرُ الفلسفي، بل والفكرُ الصوفي الفلسفي العالميني، المقارن.

3- هو ذلك، إذَن، المقصود، والمرامُ الأعلى، لخطاب المِهَن والاختصاصاتِ النفسانية، من علمنفس الذات العربية حتى علم اللاوعي الثقافي العربي (الحلم، الأسطورة، الإستعارة، المتخيَّل...)، وما إليهما من نحو: حقول علم النفس، العلاجنفس؛ والتحليل النفسي على الأخصّ والأحرى. هو ذلك، إذَن، مرام ومرمى خطاب الصحة النفسية الروحية، والصحةِ النفسية الحضارية، والصحة الإنسانيةِ المنزعِ والمرتجى أو الصحةِ الكينونية للذات العربية. وذاك هو، في عبارةٍ نظرانيةٍ (فلسفيةٍ، كونيةٍ ومحضة)، المرامُ والتعريف والطبيعة والدورُ لخطاب المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة والفكر، في الكينوني والذاتِ الفاعلة المفكّرة المشرّعة لمَدَنياتها ومستقبلها المؤنسَن المؤنسِن، المخلقَن المخلقِن، المروحَن المروحِن، التعاطفي والمحبّاوي، الغافر والمستغفرِ حيال الأنت والأنت الأعلى، وضمن النحناوية المتطوّرةِ أبدا بتكاملٍ وتراحم، أو تكافلٍ وتضافرٍ متواظِبَيْن متدائبَيْن.

4- التفسيرانية ومعها التغييرانية دوران – حاضر ومستقبلي – للفلسفة؛ وكذلك لخطاب المدرسة العربية في الصحة النفسية الحضارية، وفي التكييفانية الإستراتيجية للذات العربية، وفي النقدانية الحضارية الإستيعابية. فالدور التفسيري يكون تفحّصاً وتشخيصاً؛ أي سبراً وإدراكاً شاملاً للواقع والإمكانِ والشروط، للمجتمع والشخصية والعلائقية، للقيم والأيديولوجيات

نعود إلى ما مضى فعله أو سبكه وإرتكابه قسرياً، وبغير إرادة؛ وبغير وعي أحياناً وفيرة. نعود كي نخفّض التوتر المتولّد أو المحتمَل؛ والمستمرَّ إقلاقاً لنا، أو محرّكاً ومثيراً، بل وقاتلاً للإستقرار النفسي الإطمئناني.

أنّنا، بتبسيطٍ يسهّل ولا يعقّد، نستطيع ونريد أن نعلن أننا لم نبغِ إرادةً قوميّة، أو نوايا تعصّبٍ وتشدّدٍ...

أنّنا لا نبدي رغبةً بقتل الأب أي التراث، والقيم أي الأنا الأعلى؛ وحتى الرابوع أو الخاموس الأوروبي، وليّ أمره الأميركي التمدّدي، نعتبره ظاهرةً إستبدادية مَرَضية؛ أي هو حالة

والفكر. إنّه دورٌ يدرس الحال القائم (النافذَ، الجاري)؛ فيفضّ ويهتك، يحلّل ويمزّق ويمأزِق. كما هو ينتقِد، يلاحِق ويتعقّب، يحاكِم ويغوص، يقارن و"يُحَصْحِص" (بحسب قول الأسلاف) ويمحّص.

إلى هذا الدور "اللاحق"، المتأمِّل، الذي يأتي بعد الأحداث، بعد الما يجري وما يحصل وما يبدو أمامنا، يقوم أيضاً الدور الثاني الذي هو إرادة التحويل والإزاحة، وتغييرُ الفعل والقول والتفسير كما الفهم، وقلعُ الظلم والجور أو " قطاعِ القواهر والعواهر"، وكشطُ "قطاعِ المهدِّدات والمخاوف والمثبِّطات"، وإعادةُ التوازنِ النفسي الإجتماعي أوالعافيةِ والسوائية في المدنيات وفضاءات اللقمة والعمل والثروة، وبالتالي في لغوانية السياسة العصابية وحقائقها الفارغة معاً والمخاتِلة.

[1] را: زيعور، المدخل إلى التحليل النفسي والصحة العقلية، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، 1997. من الفصول المهمة فيه، الفصل الأول: محرّكات وأُسُس علم النفس في مدرسته= =العربية، صص 33-118؛ الفصل الأخير، صص 507-531. وكانت نشرةٌ سابقةٌ لهذا الكتاب قد لملمت موضوعاتٍ لنا نفسيةٍ وتحليلنفسية من نحو: الغريزة والذاكرة، الوعي والإستبطان، الفكر واللغة، الإنتباه والإرادة... وثمة أيضاً: البخل، الخجل، قضم الأظافر، الخُواف، اللاوعي والأنا الأعلى، الحُلم، الرمز، نقائص الفرويدية ومذمّاتها...

[2] أشهر القراءات التي إعتمدها المشروع العربي في إعادة الإدراك والتعضية داخل الذات العربية:
- القراءة القيمية، قراءة المحباوية في الشخصية والفلسفة والتصوف، وفي الأخلاق والقيم والتراث.
- القراءة الحُلمية للنبوة والإناسة والرّمازة.
- القراءة التربوية واستخراج المذاهب التربوية والتعليمية كما المناهج التعلُّمية. = = - القراءة القانونية وبحسب مفاهيم علم أصول الفقه.
- القراءة الذرائعية المفسِّرة للفكر والفلسفة والتراث تبعاً لعاملٍ محوريّ هو اللذة والفائدة والمصلحة.
- قراءة التحولات النفسية الاجتماعية والحضارية التي أحدثتها الآلة والآخر والديمقراطية.

المدرسة العربية في علم النفس، ضمن مدارس علم النفس، تَدرس حقولَ علم النفس؛ ومكانته، كما موقعه ودوره في دراسة الإنسان كسلوكٍ أو كحالاتٍ عقلية؛ كمتفاعلةٍ متكافئةٍ من الأبعاد البيولوجية التي تتنفّسَن (تغدو نفسيةً، ذاتيةً أو فِيّاوية)؛ وتَتَجمعن بفعل وتأثير المجتمع والثقافة

الدور الثاني الذي هو إرادة التحويل والإزاحة، وتغييرُ الفعل والقول والتفسير كما الفهم، وقلعُ الظلم والجور

إبانـــــــة

أنّ العقل الاستراتيجيّ يستطيع صوْغَ وعْيَنةٍ نسبيّةٍ تاريخيّةٍ تنتقِدُ وتستوعِبُ ثم تتخطّى آرائيّة المنتقدين، مخلِصين أو مموِّهين، لنشاط وأمراض اللّغة؛ والفكر؛ والفعل؛ ولقطاع الأسئلة غير الجدّية

1- وُضِعت خطةُ إنتاجٍ وتسويقٍ بموجبها سُبِكت الفصول الواردة، أدناه، على شكل مقطَّعات؛ وأخرى على شكل أجوبةٍ عن أسئلةٍ يطرحها العاملون والزارعون في حقول الفلسفة العمليّة والفلسفة النظريّة... وعلى ذلك، فقد كان إعمالُ العقل، وأدواتِ التّفسير والتّفكّر، قائماً على التعقّب والنّقبِ أو القلعِ والغرسِ في حقول الفلسفة النفسانيّة والنفسانيّات الفلسفيّة؛ وكذلك في حقول الواقع النفسي، والواقعِ الطبيعي، أي الخارجيّ الماديّ كما البيولوجيّ العضويّ.

2- وخطّةُ العمل، التي أشرنا إليها، تقودُ البحوثَ – الفصولَ القادمة إلى وسائل وكيفيّاتِ تحيين التحقّق الانغراسي الحرّ، أو النضوجِ الوجدانيّ التفاعليّ، داخل الأنا ومجالها، وداخل مستويات التواصليّة وحلقات المجتمع؛ وبالتالي داخل اللّغة والعقل، وداخل الحضارة والمعنى العام، والفلسفةِ بل وشتّى العلوم الإنسانيّةِ المجتَمَعيَّة التاريخيّة.

3- ما هو هذا التحقّق الانغراسي الحرّ؟ ما هو ذلك الانتضاج – النضوج الوجدانيّ التفاعلي؟ ذاك شكلٌ آخر للجانب الآخر من الفلسفة العربيّة الرّاهنة؛ والذي هو، إلى جانب قطاع المحضانيّة داخلها، قطاعٌ غائيّ التنظيرِ والتفسير كما التحليل والتّشخيص. وخلاصة ذلك الواقع المدَنيّ، أو العمليّ، هي أنّ العقل الاستراتيجيّ يستطيع صوْغَ وعْيَنةٍ نسبيّةٍ تاريخيّةٍ تنتقِدُ

وتستوعِبُ ثم تتخطّى آرائيّة المنتقدين، مخلِصين أو ممرِّرين، لنشاط وأمراض اللّغة؛ والفكر؛ والفعل؛ ولقطاع الأسئلة غير الجدّية والتي منها التأنيبيُّ والتأثيميّ، وكذلك المنرجِسُ، والمازوخي كما السّاديّ إنْ على صعيد المجتمع والسلطة أمْ على صعيد الأنا والأنتَ والنَّحْنُ.

الخطابُ الإيجابيّ يعزّز السيطرة على المشكلات؛ ويعلو على الاتّهاميّ؛ ويقيم علاقة طبيبيّة، متعاطفةً، مع الموضوعات أو الشّخصيّات المدروسةِ، المطروحةِ كصابرٍ، أو كغرضٍ للتفحّصِ والمحاكمةِ؛ وللتّغيير أيضاً بعد ذلك.

4- المشروع التكييفاني الإيجابي يبثّ الارتيا والثّقة تجاه الخطّة الاستراتيجيّة العاملة بتداؤبٍ وتناقٍ تلاقحيّ بين الخاصّ والدار العالميّة؛ ويضخّ الاطمئنان، والثّقة بالمستقبل، ومعالجة - «الأمور» بهدفٍ هو الأملُ بالتوكيديّة الذاتيّة، وبالتزخيميّة في إرواء الانتماءات أو الهويات.

5- إنّ الخطاب في التكييفانيّة الإسهاميّة، في التفسيرانيّة - التغييرانيّة، هو عينه ذلك الخطاب الذي اعتُمد بلُغةٍ وأدواتٍ سلبيّة في دراسة المجتمع والفكر والشّخصيّة كما النحناويّة والعلائقيّة وأنضودة القيَم المتصارعة. بعبارةٍ أخرى، من الممكن أن نحوّل اللاءانيّة والنفياويّة أي السَّلبانيّة إلى نقدانيّةٍ حضاريّةٍ هي استيعابيّة، وتُدخِلن أو تمتصّ ثم تتجاوز، تتخطّى وتتوقّد بالانفتا على الإيجابي الإسهامي. إنّ الانتقال إلى الإيجابيّ إهتداء؛ وتوكيديّة، وتعزّز ذاتي صراعي ومتزاخِم، وقانون، ومنهج، وعاداتٌ في التفكير والعمل كما في المعاينة بوجهَيها التشخيص ثم العلاجي، والسّلبي كما الإيجابيّ، والتفسيري كما التغييريّ... ذاك هو، بعدّ كلّ ذلك، العقلُ الأطروحيّ، والخطاب في الصحّة النفسيّة الحضاريّة وما بعد الحضاريّة؛ وذلك هو أيضاً التحوّل إلى القراءة الطبيبيّة، إلى المعاينة الحضاريّة والنقدانيّة الحضارية، إلى التكييفانية الإسهاميّة المتناقحة وإلى الرّشدانيّة وما إلى ذلك

الخطابُ الإيجابيّ يعزّز السيطرة على المشكلات؛ ويعلو على الاتّهاميّ؛ ويقيم علاقة طبيبيّة، متعاطفةً، مع الموضوعات أو الشّخصيّات المدروسةِ، المطروحةِ كصابرٍ، أو كغرضٍ للتفحّصِ والمحاكمةِ؛ وللتّغيير أيضاً بعد ذلك.

المشروع التكييفاني الإيجابي يبثّ الارتياح والثّقة تجاه الخطّة الاستراتيجيّة العاملة بتداؤبٍ وتناقٍ تلاقحيّ بين الخاصّ والدار العالميّة

من تسمياتٍ تُطرح كشريكٍ أو بديلٍ أو مرادفٍ للفلسفات العالمينيّة البُعد والقيمةِ والكينونة، للمذاهب الفكريّة الطموحة إلى إعادة الضبط والتوجيه [را: نقدنا، أدنا، للأنسنة الراهنة معتبرةً كفكرٍ رخوٍ وقليلِ المنعة والموضوعية].

6 – في الواقع، لقد أُتخِم العربيّ بأفكارٍ وتحليلات، وبمشاريع ورهاناتٍ، لا تنضح بفلسفة الهدوء والارتياح؛ بقدر ما تُشدد على اللاءات وعوامل الإحباط والتخوّف، وتستبعِدُ استراتيجيّات النجاح وفلسفاتٍ مقصودُها وأساسُها ترجّي الإنتاج الماديّ والفكريّ المتفاقم المتكاثر. لا تثريب! ذاك أنّ الفكر الذي يشدّد على الفشل والتقلقلِ، وعلى اللاسويّ وفاقدِ الصّلوحيّة، فكرٌ نافعٌ وضروريّ. لكنّه مرحليّ وانتقاليّ، غير متينٍ مكثاً ولَبْثاً؛ يرجّ الاقتدارات والمهارات، يؤرجح ويهيّء لجرح الاعتبار الذاتي بغير أن يقوّي البُعد المرِن في الشّخصيّة والمجتمع والفكر. والمرام هنا هو أنّ التنبّه إلى ما تحقّق من فلاح ونجاح ليس مبتغاه نسيانٌ أو إهمالُ السلبي واللاسويّ والانقلابِ والتعثّر. بالعكس، فالقول للطفل، للمتعلّم والباحثِ المنقِّب، إنّه يتقدّم وأبلى حسناً قولٌ نافعٌ تدعيمي، ومنهجٌ واستفزاز، ودعوةٌ للمثابرة والتدقيق، ولتحسين المردود والرّبحيّة. وعلى سبيل الشاهد، إنّنا قد نستطيع الانتقال إلى العمل وفق قوانين الاهتداء الأصلحيّ، أي حيث المرحلة والمنهجيّةُ الإيجابيّة، وحيث الكفُّ عن المكثُّلبْثية عند نقد صانع السّلاح والإقلاق الأوربي، والمستشرِق الآفلِ، والفرنسيزي الآثم، والخطابِ الرّاهنِ المتغطّي بالعولمةِ والأمركةِ، وبالشّريعة الدوليّة المستغَلَّة.

7– لقد نجح الفكر العربيّ الراهن (الأصلحيّ) بمعاينة كلّ مشروعٍ حضاريّ يوصف بالسادية والموقع الملتبِس، وبالتلذّذ في محاربة المهدِّدات والمثبِّطات والمخاوف أي في قهرٍ خيليّ وهميّ ولفظانيّ للقواهر والعواهر! وعلى سبيل الشاهد، نجحنا في الانتقال إلى الإصرار على أنّ نقد الشّخصيّة

إنّ الخطابَ في التكييفانيّة الإسهاميّة، في التفسيرانيّة – التغييرانيّة، هو عينه ذلك الخطاب الذي اعتُمد بلُغةٍ وأدواتٍ سلبيّة في دراسة المجتمع والفكر والشّخصيّة كما النحناويّة والعلائقيّة وأنضودة القيَم المتصارعة.

من الممكن أن نحوّل اللاءانيّة والنفياويّة أي السّلبانيّة إلى نقدانيّةٍ حضاريّةٍ هي استيعابيّة، وتُدخِلن أو تمتصّ ثم تتجاوز، تتخطّى وتتوقّد بالانفتاح على الإيجابي الإسهامي.

الغراريّة، كما الفلسفة أو العقليّة النحناويّة، لا يكون تقريعاً وتأثيماً... لا نجعل النقد، الآن وفي هذا الاهتداء والتحوّل، سوطاً بيد راغبٍ مرضيًّا بالتنرجُس أو بالتقزيم والتبخيس.

8- وكشاهدٍ آخر مخلِصٍ، نجحنا في الاهتداءِ إلى أنّ التعاطفي والمحبّاوي، التراحميَّ والرّحَمي والرحمانيّ، قطاعٌ في السيرة النبويّة والأحاديثيّة والأنبيائيّة كان مغيّباً مطموراً، بل ومقموعاً مطروداً؛ وإلى أنّ ذلك معناه أنّنا ننتقل إلى تقليص وقصقصة أجنحة السياسَوي، وردعه عن التدخّل والتغطّي والاستغلالِ في حقول التديّن والأخلاق والشّريعة الدينيّة... إنّ العقل المستقبلاني، وتماماً كما يقال في صدد المجتمع والشّخصيّة، يدفِّقه ويزخّمه صوغُ كتابةٍ إحصافيّةٍ للسيرة النبويّة، أو للتفسير القرآني، نسغُها تسْطيعُ الفهمِ الإنسانويّ للتديّن والقيم، للسلوك والتّفكير، للمحاكمة والتواصليّة.

ومن اليسير والموضّ أن نؤيّد هذا التحوّل إلى الفهم الإنسانويّ للوحي والقرآن، وللسيرة والحديث النبويّ، بتحوّلٍ انعطافيّ كبير مماثلٍ في تفسيرنا للمذاهب والاختلافات داخل الدّين، وللدين عينه داخل علم الأديان المقارِن... فممّا لا شكّ فيه، هنا، هو أنّ الفكر الفلسفي الراهن حلّل تاريخَ الفكر والثّقافةِ؛ وحقبنةَ التجربة العربيّة الإسلاميّة في التديّن والمعرفة والمعيوش الممارَس، وفي القطائع والأزمات... كما أنّ الفكر الفلسفيّ، بحسب المدرسة العربيّة، انتقدَ وقاربَ على نحوٍ نقدانيّ حضاريّ اليقينيات الموروثة والمستجدة، والماهيّات والمسلّمات، المقدّس والمتعاليات [را: النقدانيّة الحضاريّة حارثةً خائضةً في حقول الفكر والتّراث، المنهجِ والإيمانيّات، اللّغةِ والمجتمع، العقلِ والرّموز].

II

1- لا بدّ من بذل الجهد والوُسع في سبيل أنْ نَدفع بهذه البحوث، المقالات أو الأوراق، وهي مراجعاتٌ وخلاصةُ ندوةٍ هنا أو محاورةٍ هناك، دفعاً

لقد أُتخِم العربيّ بأفكارٍ وتحليلات، وبمشاريع ورهاناتٍ، لا تنضح بفلسفة الهدوء والارتياح؛ بقدر ما تُشدد على اللاءات وعوامل الإحباط والتخوّف، وتستبعِدُ استراتيجيّات النجاح وفلسفاتٍ مقصودُها وأساسُها ترجّي الإنتاج المادّيّ والفكريّ المتفاقم المتكاثر.

فالقول للطفل، للمتعلّم والباحث المنقّب، إنّه يتقدّم وأبلى حسناً قولٌ نافعٌ تدعيمي، ومنهجٌ واستفزاز، ودعوةٌ للمثابرة والتحقيق، ولتحسين المردود والرّبحيّة.

وتوضيحاً كيما نحصل على كتابنا هذا، الذي بين أيدينا، بعنوانٍ يُبرِز، في كلماتٍ محصورةٍ، موضوعاته؛ أي حقولَه وغرضَه ومناهجه. ولكنّنا، من جهةٍ أخرى، لم نكن شديدي الفتوريّة تجاه الكرام الذين شاؤوا أن يقدّم كتابٌ يحيط ببعض الأفكار الاستراتيجيّة، والميادين التي حرثتها – ثم زرعتْ فيها – المدرسةُ العربيّة في الفلسفة وشتّى الإنسانيّات؛ أو، بحسب التّسمية الأخرى، المشروعُ العربيّ في علوم الإنسان أو علوم العقلِ أو المجتمعِ، الذاتِ واللّسانِ والمعنى والحضارة.

2 – غير مجدٍ هو أن أقوم بتقديمٍ مكثّفٍ يلخّص المدرسةَ العربيّة الراهنة إنْ في الفلسفة والفكر أم في النفس والتحليل النفسي، أو أيٍّ من العلوم الإنسانيّة، الإنسانيّات الأخرى؛ أي كعلم الاجتماع، والإناسة، والقيميّات، والفنّ، والألسنيّة، والتاريخ...

3 – لكنّ هذا الأمرَ الشاق عرضةٌ لأن يُعتمد بمثابة حاجزٍ نافع تحريضيّ. المراد هو أنّ أفضل الأجوبة هنا هو أن نعودَ إلى الكتاب الأمّ الذي أَشهَدَ الخطابَ العربيّ الراهنَ في الفلسفةِ، أو في النّظريّات العربيّة في الفلسفة، إبّان القرن الماضي: إنّه كتاب «قطاع الفلسفة الرّاهن...».

4 – لعلّ كتاب «قطاع الفلسفة الرّاهن في الذات العربيّة» تولّد وبرز كمؤشّرٍ على ترسّخ القول بأهمية الفلسفة، وبخصائصها الاستقلاليّة الراغبةِ في محاورةِ كلّ النظريّات الفلسفية في العالم، وبثراء ونجا النّظريّات العربيّة في الفلسفةِ والعالمينيّة أو في الفكر والمواطنيّة كما القيم المسكونيّة.

5 – كما أنّ العنوان الفرعي، التحتاني، للكتاب نفسه، يقول مفسِّراً: «تياراتُ المدرسةِ العربيّة في الفلسفةِ إبّان القرن العشرين». ومن تلك التيّارات التي يحلّلها الكتاب: فلسفة العلم، الفكر الإلحادي، الوجودانيّة عند عبد الرحمن بدوي، الوضعانيّة المحدَثة أو تيار زكي ن. محمود، الجوانية عند

لقد نجح الفكر العربيّ الراهن (الأصليّ) بمعاينة كلّ مشروعٍ حضاريّ بوصفه بالسادية والموقع الملتبس، وبالتلذّذ في محاربة المهدّدات والمثبّطات والمخاوف أي في قهرٍ خيليّ وهميّ ولفظانيّ للقواهر والعواهر!

نجدنا في الاهتداءِ إلى أنّ التعاطفي والمحبّاوي، التراحميّ والرّحَمي والرحمانيّ، قطاعٌ في السيرة النبويّة والأحاديثيّة والأنبيائيّة كان مغيّباً مطموراً، بل ومقموعاً مطرودا؛

إنّ العقل المستقبلاني، وتماماً كما يقال في صدد المجتمع والشّخصيّة، يدقّقه ويزخّمه صوغُ كتابةٍ إحصائيّةٍ للسيرة النبويّة، أو للتفسير القرآني، نسعى تسْطيعُ الفهمِ الإنسانويّ للتديّن والقيم، للسلوك والتّفكير، للمحاكمة والتواصليّة.

المدرسةُ العربيّة في الفلسفة وشتّى الإنسانيّات؛ أو، بحسب التّسمية الأخرى، المشروعُ العربيّ في علوم الإنسان أو علوم العقلِ أو المجتمعِ، الذاتِ واللّسانِ والمعنى والحضارة.

عثمان أمين، المذهب الإنسانويّ، فلسفة اللّغة، التاريخانيّة والفهم الفلسفي للتاريخ والتأرخة، النقدانيّة الاستيعابيّة الحضاريّة للوعي والسلوك والتواصليّة داخل المجتمع الصناعويّ والعقل الأدائي والآلوي والاستنفاعيّ، الشخصانيّة العربيّة قولٌ فلسفي وتيارٌ فكريّ وأيديولوجيا ضراميّة، محاكمة واستيعاب البنيويّة وحيث الجابري والفكر الأركوني، فلسفة الجمال والقيميّات.

6 – بعد عقدَين من ذلك العمل الإنتاجيّ، في الفلسفة وسائر العلوم الإنسانية، ما زالت تلك التيّارات الفلسفيّة المذكورة تشكّل المحتوى المفتوح والمرِنَ للمدرسة العربيّة في الفلسفة والفكر؛ وما زالت، أيضاً، تشكّل الحقول، وتحدّد الغرض، وترسُم التّخوم الحيّة الضراميّة والمتداخلة بين تيار وتيار، أو شخصيّة وشخصيّة، أو فضاءٍ وفضاء، أو مذهبٍ ومذهب، أو أُفهومٍ وأفهوم.

7– قد يُزاد على ذلك، كتاباتٌ في الفلسفة أو تحليلاتٌ وإعجابات تجاه تشخيصاتٍ فلسفيّة غربيَّة، وتجاه أدروجاتٍ وموجاتٍ «إعلاميّة» في «الثّقافة العالميّة المسيَّسة». المراد، هنا، هو أنّ المدرسة العربيّة في الفلسفة، وشتّى العلوم الإنسانيّة الأخرى، أقرّت ثم حاكمت أيضاً تياراتٍ فلسفيّةً عربيّة – غربيّة؛ من نحو: الديكارتيّة العربيّة أو «الأنا أُفكّريّة» العربيّة الديكارتيّة؛ والتيار العربي – البرغسوني، والعربي – السارتري، والعربي – الظواهري [را: الحقول العربية في المنطق الرمزي أو المنطق الرّياضي؛ الألسنيّة، الحداثة وما بعد الحداثة؛ الفكر الآلوي، الفكر التكنولوجي والصّناعويّ، الدار العالميّة].

8– لكنّ علم النفس، من حيث هو قد يكون فلسفة أو مذهباً في الفكر والإنسان والعقل، حرث في حقولٍ هي فلسفية محضة، أو فلسفيّة نفسانيّة، أو نفسانيّة فلسفية. وهكذا، فنحن نضيف إلى التيارات الفلسفيّة، في الدار العربيّة الراهنة، تيارات نفسانيّة؛ مِن مِثل: السلوكانيّة، الذرائعيّة (الذّريعانيّة) أو

البرغماطيقا، المذهب العربي الأخلاقي والاجتماعي في الداروينيّة البيولوجيّة والاجتماعيّة، التأويلانيّة.

9 – نافعٌ هو أن نقرأ الموانع بل وحتى الموضوعات أو الإشكالات الفلسفيّة والسياسيّة الآخذة بتعابير أو إعاقة تعزيز مستقبلِ الفلسفة العربيّة داخل الدار العالميّة. هنا نبدأ بقراءة الشروط الموضوعيّة والتاريخيّة، والأسباب الحضاريّة القائمة، من أجل أن نتدبّر الأجوبة أو الحلول، والتوقّعات الإيجابيّة. فنحن وإذ نهتمّ بالمكوّنات المؤسِّسة والتحتيّة، كالأوضاع والمصال والطبيعةِ والثّقافة، فإنّنا نطر الاستراتيجيا والأيديولوجيا والفلسفة المتساوقة مع تلك الأحوال والوقائع أو التعثّراتِ كما النجاحات والما يجب أن يكون.

10 – بكلمةٍ أدمث، قد يبقى أساسيًّا، داخل العقل العربي المطِلّ على المستقبل، التنظير والقولُ النقديّ في الدار العالميّة، أي: حيث المخاوف والمهدّدات والمعوّقاتُ للاستقلال والمرونة وامتلاك الحريّة؛ وحيث الخطاب الأمبراطوري الأميركي في الاقتصاد والمعرفة وتواصليّة الأمم؛ وحيث المصطل المسمّى ازدواجيّة القيم عند القاهر والمجمِّد للانعتاق والانطلاق؛ وحيث الحداثةُ وما بعد الحداثة وشتّى مستلزماتها المترافِقة، أو القِيَمِ المحِقّة والمتصاحبة مع فضاءات العنف والتّدمير، وسياسة السيطرة والتحكّم بالأمم المنغلِبة المنجرحة وبالممثّلين العُصابيّين للسلطة والمعرفة في هذه الأمم «المنكسِرة الخاطر».

11 – ومن الموضوعات الفلسفيّة الأخرى التي أخذت تبزغ، بل غدت آخذةً بالترسّخ والسطوع، موضوعةُ تحوّلِ العقل المستقبلاني إلى أسئلةٍ في الوجود والمصير يطرحها العلم والتكنولوجيا؛ وأيضاً: مستقبلُ البشريّة، والجوع القادمُ، والآلة المفكّرة، وتناقصُ الإيجابيّ والتّفاؤل.

لعلّ كتاب «قطاع الفلسفة الرّاهن في الذات العربيّة» تولّد وبرز كمؤشّرٍ على ترسّخ القول بأهمية الفلسفة، وبخصائصها الاستقلاليّة الرافضةِ في محاورةِ كلّ النظريّات الفلسفية في العالم.

أنّ المدرسة العربيّة في الفلسفة، وشتّى العلوم الإنسانيّة الأخرى، أفرزت ثم حاكمت أيضاً تياراتٍ فلسفيّةً عربيّة – عربيّة؛

12- قرأَتْ التيّاراتُ العربيّةُ في الفلسفة، بانفتاحٍ وتفاعليّةٍ، الدارَ العالميّة للإنسان والفكر والقِيم. ولقد رسّخت وشحذت نظريّاتٍ مصقولة، متماسكةً متساوقة شديدة النّفع، في الفلسفة. وعلى هذا، فقد لعب على الساحة الفكريّة العربيّة فلسفاتٌ، قامت على الحرّية والعدالة الاجتماعيّة، أسهمتْ في إرساء وتطويرِ العقل الفلسفيّ، والتنويرانيّةِ كما الحداثانيّة؛ وتحوّلاتٍ وانتقالاتٍ إلى فضاء التغيير الاستراتيجيّ، إلى التغييرانيّة العربيّة الشمّالة، والأعمّاويّة أو الأعمقِ كما الأوسع بُعداً ثمّ مستوىً على صعيد الحضارة ومستويات العيش، وعلى صعيد المجتمعيّ والسياسيّ والفكر المدَني ومن ثمّ العالميني. نختار، أدناه، خزعةً أو خزعَتَيْن من المتغيّرات والتحوّلات التي انتقدت وكنّست، وطهّرت أو «عزّلت» ناقلةً الوعي والسلوك والنحناويّة والتواصليّة إلى عالم الحُلم بالأصلِ والأنفع:

أ/ يتغيّر العقل واللاعقل. فحتّى الوعيُ أو القلقُ قتد تغيّر معنىً ووظيفةً تجاه الخطاب الظّالمِ، والاستبداد، واستغلالِ الدّول الإغرائيّة الرامزة للمستغِلّ والمتغلِّب الجارِ للنرجسيّة النحناويّة والتاريخيّة، وللطموحاتِ المستقبليّة الزّخم والرؤيةِ والمنهجية. ولنتوسعْ قليلاً في قراءة هذه الخزعة، لقد تغيّرت نوعيةُ النقد الذي كان يصلُ، بل ونافعاً يطهّر، تجاه الأبطال الكولونياليين قديماً وحاضراً مستمراً. فنقدُ السّياسة الاستعماريّة، قبل التطهّر من رجسها، وبعد الانفكاك من إسارها، بات وسيكون مختلفاً، ومتفائلاً، وواثقاً بما هو حوار بين الأحرار المتساوين، وبما هو حقّ لكل أمة، وكلّ فرد، وللعلائقيّة أو التواصليّة العادلة بين الجماعات أو المتَّحَدات والنحناويات، وحتّى بين السلطات للدولة أو بين القوى كما المقامات داخل الشّخصيّة وفي المجتمع وفي المواقفيّة حيال الحضارات أو القيم الأفقية التضافرية غير السيطرية [انفجار الكراهية للمستعمِر، وتسمياته أو أبطاله، يحصل حين زيادة الضغوط والألم الحضاري والشّعور بالذنب].

نحن نضيف إلى التيارات الفلسفيّة، في الدار العربيّة الراهنة، تيارات نفسانيّة؛ مِن مِثل: السلوكانيّة، الذرائعيّة (الذّريعانيّة) أو البرغماطيقا، المذهب العربي الأخلاقي والاجتماعي في الداروينيّة البيولوجيّة والاجتماعيّة، التأويلانيّة.

قد يبقى أساسيًّا، داخل العقل العربي المطِلّ على المستقبل، التنظير والقولُ النقديّ في الدار العالميّة،

يتغيّر العقل واللاعقل. فحتّى الوعيُ أو القلقُ قد تغيّر معنىً ووظيفةً تجاه الخطاب الظّالم، والاستبداد، واستغلالِ الدّول الإمبرائيّة الرامزة للمستغِلّ والمتغلِّب الجارح للنرجسيّة النحناويّة والتاريخيّة، وللطموحاتِ المستقبليّة الزّخم والرؤيةِ والمنهجية.

فنقدُ السّياسة الاستعماريّة، قبل التطهّر من رجسها، وبعد الانفكاك من إسارها، بات وسيكون مختلفاً، ومتفائلاً، وواثقاً بما هو حوار بين الأحرار المتساوين، وبما هو حقّ لكل أمة، ولكلّ فرد

ب/ في أواخر السبعينيّات، من القرن الماضي، بدا الاهتمام بالفلسفة انصباباً على علم النحو وعلم الدلالة (الدّلاليّات)، على المؤشّر والإشارة والعلامة والأيقونة (الصورة)؛ ومصطلحاتٍ أخرى ركائزيّة في الألسنية... هنا كان الاهتمام بكتابٍ شهير لصاحبه أوسْتِن؛ ومن ثمّ بأكثر من عشرة من الألسنيّين الأميركيّين؛ وبفلاسفة التّحليل اللّغوي، بفلاسفة اللّغة... أجَّل العاملون، إنْ بالفلسفة أم بعلم النفس، كلّ مقاربةٍ للعقل العملي، للماورائيّات والجماليّات؛ واندفعوا مسرِعين وبحميَّة إلى تدبّر الراكضين وراء الفلسفةِ العلميّة أو فلسفة العلم ومنطقه، والمنطقِ والأنساق، والنّظرياتِ المعرفيَّة، وحقولِ الألسنيّة... وفي مفرداتٍ قصيرة، كان التقدير لشخصيّاتٍ من نمط عزمي إسلام، أي من تيار زكي ن.محمود وسائر المعجبين المتابعين لِـ: رسّلْ وفيدغِنشتاين وأضرابهما، تقديراً كان كلّه ونُسغُه عنايةً باللّغة والانصرافِ الكلّي إلى المنطق والتحليل والوضعاني، العلمي والمعرفي والمنهجيّ؛ وعنايةً بالحرب على الفلسفيّ والماورائيّ كرمزٍ لما هو لغة غامضة وغير مفهومة، ملتبسةٌ وجوفاء، خرافيّةٌ وبلا جذورٍ أو معنى أو أُسُس...

13- لم تبقَ المدرسة العربيّة غارقةً لمدّة طويلة في لجّة نظريّات المعرفة وفلسفات العلم؛ ولا في الألسنيّة والتحليليّات والسلوكانيّة... لكنّنا أسفنا فيما بعد لأنّ الألسنيّين العرب، في الجامعة اللبنانية، مأخوذةً كمثَلٍ أو شاهد، غرقتْ مدةً في تعديل وإعاداتِ تعديلٍ بالمصطلحات داخل موضوعةٍ هي صنعُ أفعالٍ باعتماد الكلمات؛ من نحو: الإثباتيّات، التوجيهيّات، الوعديات، البوحيّات، التصريحيّات... وثمّة مصطلحاتٌ أخرى ضغطَتْ علينا صعوبةُ ترجمتها؛ كان ذلك، إذَن، داخل نظريّة الأفعال الكلاميّة. ومن بين المصطلحات المقتحِمة الصالحة: لغة (Language)؛ لِسان؛ كلام (Parole)؛ نسق (Systeme)؛ لغة شارحة؛ لغة – موضوع؛ لغة – شيئيّة؛ ميتا – لغة (ما بعد – لغة).

لم تبقَ المدرسة العربيّة خارقةً لمدّة طويلة في لجّة نظريّات المعرفة وفلسفات العلم؛ ولا في الألسنيّة والتحليليّات والسلوكانيّة...

كتابُ «ألف قولةٍ وقولة في الفلسفة والصحّة العقليّة...» ساحةٌ لعبث عليها الفلسفة مع الصحّة النفسيّة الحضاريّة، تبعاً للمناهج الذاتانية (الذاتيّة النّزعةِ والرؤيةِ أو التفكير)

إنْ فازت الفلسفة فاز أيضاً، ومعها أو بها، خطابُ الصحّة النفسيّة الحضاريّة.

III

1 – استحدثنا، أدناه، أسلوباً في التّعبير عن الفكر الفلسفي معتبراً أنّه هو العقل نفسه، ونظريّاتٌ وأنساق، ومفاهيم كبيرة، وألغازٌ مستعصية مطروحةٌ على الوجود والمعرفة، وعلى المعيار والجماليّات... لقد كان الأسلوبُ «المستحدَث» شذريًّا؛ أي فِقارياً، على شكل مقطّعةٍ أو مقتطفةٍ هنا، وعلى شكل فقرةٍ أو أسكوبة من سطورٍ معدودةٍ محدودة هناك. ومن جهةٍ أخرى، لقد كان ذلك الأسلوب عينه يسكُب/ يَسرد الفكرةَ الفلسفيّة على شكل أسئلةٍ وأجوبة (سين وجيم، في التّعبيرة المتداوَلة؛ وقد يُقال «سينْجيميّة»)... من هنا يندلع إطلاقُ اسم «جلسة» على الفصل. وبعد ذلك فإنّ المعاينة، هنا، تكون حواريّةً، أي «سينْجيمِيّة». وما المعاينة هذه، أصلاً، بمختلفةٍ عمّا يقال عنها في كلّ مطر؛ فهي – وتماماً كما هي أيضاً القراءةُ الطبيعيّة – وظيفتان: تشخيصٌ هو تفحّصٌ وارتيادٌ وتحليل؛ وطرحٌ قصدانيّ، غائيّ القصدِ أو النّزعةِ صوب التّغيير، أو العلاجِ واستعادة التكيّف الإسهامي والتعلّم الإبداعيّ.

2 – في كتاب «ألف قولةٍ وقولةٍ...» تُدرَك فوراً وللتوّ تغييراتٌ في أسلوب العرض والإبانة. لقد أُدخلت الطريقة «السِّينْجيميّة» التي تقوم وتَتَشغّل على السؤال والجواب، الطرحِ والسّرد، التشكيكِ والتوتير وخفضِ التوتّر، الإثارة أو التنبيه والاستجابة بحسب المعادلة السّلوكيّة.

3 – الطريقة الأخرى، وهي أيضاً مأنوسة مألوفة في تاريخ الفكر عند العرب وفي داره العالميّة، هي طريقةُ الإبلاغ والتفسير بواسطة التعبيرة المكثّفة... فالتّعبير بواسطة المقطّعات هو ما قد يُسمّى الأسلوبُ الشّذري حيث تكون فكرةٌ جيّدةٌ شذرةً جيّدةً صلبة؛ والمقطعُ أو المقتطفة الواحدةُ إفصاحٌ عن حالةٍ واحدة، أو قولةٍ واحدة. ومن مجلوبات هذا الإرسال أو التفهيم والتوصيل، وهو يسمّى أيضاً الأسلوب الفِقاري، أنّه، وفي جميع الأحوال،

دليلٌ آخر على إزاحة النّظريّات الأعرضيّة الأتمّاوية؛ وعلى الانعتاق من تعميمات وضبابيّة الأنساق الكبيرة الطموحةِ لتفسير الوجود والموجود، العقلِ واللاعقلِ، المعرفةِ والحقيقةِ، أو الحياةِ والعالم.

4 – كتابُ «ألف قولةٍ وقولة في الفلسفة والصحّة العقليّة...» ساحةٌ لعبثْ عليها الفلسفة مع الصحّة النفسيّة الحضاريّة، تبعاً للمناهج الذاتانية (الذاتيّة النّزعةِ والرؤيةِ أو التفكير)، لعبةً معقّدةً إن انتصرَ فيها طرفٌ لايخسَر الطرفُ الآخر. فالمقصود المرام هو الانتصار المشترك: إنْ فازت الفلسفة فاز أيضاً، ومعها أو بها، خطابُ الصحّة النفسيّة الحضاريّة. فالقطبان هدفهما واحدٌ هو صياغةُ استراتيجيا؛ أو هو النّظرية المتماسكةُ التطوّرية التي تحقّق المصال والفضائل والمدَنيّاتِ في الحقل والمجتمع والمواطن، في العلائقيّة وإشكاليّات اللّقمة وفي الخيرانيّة أو فلسفةِ الخير المسعِد، الخيرِ الأسمى الذي هو سعادةٌ وخيرٌ ضمن التكافليّة الجماعيّة.

IV

1– من السّويّ، إنْ لم نقُل إنّه لمن اللامناصيّ، التنديدُ ببعض ما يشوب هذا الكتاب من هناتٍ، أو من مآخذ. سوف يتبدّى، أدناه، أنّ الكبوات التي قد تتبدّى منفِرة للبعض، أو لنمطٍ من التّعامليّة، هي عينها ما كان يُلحَظ في المداميك (= الرّزائ، الرّزيحات) السّابقة مِن «عَمارة» المدرسة العربيّة الرّاهنة في الفلسفة والفكر، ومن ثمّ في العالمينيّة كما المستقبلانيّة.

2– هذا الكتاب هو الهديّة الأخرى إلى الجامعات العربيّة. إنّه الثالث عشر من أجموعة الكتب التي تكرّست لتوكيد وتزخيم المدرسة العربيّة الراهنة في علوم العقل، في الفلسفة، في الإنسان؛ أي في الوجودِ مع الثّقافة، والممتدِّ مع اللاممتدِّ والعضويّ البيولوجيّ مع غير العضويّ، مع الطبيعيّ... على هذا، فإنّ منهجيّة المدرسة العربيّة الراهنة انصبابٌ ليس فقط على العياني

هذا الكتاب هو الهديّة الأخرى إلى الجامعات العربيّة. إنّه الثالث عشر من أجموعة الكتب التي تكرّست لتوكيد وتزخيم المدرسة العربيّة الراهنة في علوم العقل، في الفلسفة، في الإنسان

إنّ منهجيّة المدرسة العربيّة الراهنة انصبابٌ ليس فقط على العياني والعقلَيْن المحضاني؛ والعمليّ الرزيحاتِ والقطاعات. إنّها هي أيضاً انصبابٌ على اللاواعي والانجراحات المكبوتة الحيّة، وعلى الهاجع والكامن، الظلّي والقناعي، القيعانيّ والغَوري، المظلم والمعتِم، المجدِبِ والبور

الوسواسي والقسري، الاختلاليّ والاعتلاليّ، السّقيم واللاسويّ.

والعقلَيْن المحضاني؛ والعمليّ الرزيحاتِ والقطاعات. إنّما هي أيضاً انصبابٌ على اللاواعي والانجراحات المكبوتة الحيّة، وعلى الهاجع والكامن، الظلّي والقناعي، القيعانيّ والغَوري، المظلم والمعتِم، المجدِبِ والبور، الوسواسي والقسري، الاختلاليّ والاعتلاليّ، السّقيم واللاسويّ.

الكُتـاب العربـي"نفساني":العـدد 67 - 2021

إصـدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـف 2021

نفساني
NAFSSANY
THE ARAB BOOK OF PSYCHOLOGICAL SCIENCES
67
2021
Towards An Arab School of Psychological Sciences

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2021